**دراسة الحالة 14**

**التراث الثقافي غير المادي والتنمية الاجتماعية: محو الأمية من خلال الشعر الشفهي في اليمن**

يبين المثال الوارد في هذه الدراسة كيف أن استخدام أشكال التعبير عن التراث الثقافي غير المادي من أجل تعزيز محو الأمية يساهم في تعزيز المساواة بين الجنسَين وتقوية التماسك الاجتماعي.

وما زال السكّان الريفيون في اليمن الذين تجاوزوا سن الخامسة والثلاثين يرتجلون قصائد قصيرة يستخدمونها في الحياة اليومية والتخاطب وحلّ النزاعات، شأنهم في ذلك شأن سكان الأرياف في العديد من البلدان العربية. ولكن يُلاحظ في هذا السياق أنه خلافاً لأشعار الرجال التي جرى الترويج لضروب منها ونشرها على نطاق أوسع في السنوات الأخيرة، بات من النادر اليوم سماع قصائد من نظم النساء مع أن الشعر النسائي يمثل شكلاً تقليدياً من أشكال التعبير العام عند المرأة في اليمن. ويُفسَّر هذا الأمر جزئياً بالتراجع التدريجي لدور المرأة ومشاركتها في الحياة العامة على مدى السنوات الثلاثين الماضية. ويُقلَّل أحياناً من شأن تقاليد الشعر الشفهي النسائي بحجة أنها قديمة الطراز وغير منمقة أو متطورة. كما صُوّر شعر النساء في بعض الأوساط على أنه يتنافى مع الإسلام.

**مشروع "محو الأمية من خلال الشعر"**

قادت الدكتورة نجوى عدره في فترة العامين 2002 و2003 مشروع "محو الأمية من خلال الشعر"، وهو مشروع لمحو الأمية في صفوف الراشدات في اليمن يرتكز على استخدام القصص والقصائد والأمثلة الشعبية السجعية باللهجات المحلية، مستمداً فحوى دروسه من الثقافة المحلية. ويهدف هذا المشروع إلى مكافحة الأمية لدى النساء الريفيات في اليمن، التي تصل نسبتها إلى 80 في المئة. ويُعتبر محو الأمية أساسياً لضمان السلامة في تناول الأدوية أو رشّ المبيدات، واستخدام الهاتف الخلوي، والتجوال في البيئات الحضرية، وقراءة الرسائل من الأقرباء المهاجرين، واكتساب المعلومات بشأن تحسين أساليب الزراعة والتقدّم في العلم. وعند سؤال النساء عن الأسباب التي تدفع بهن إلى التعلّم، غالباً ما يذكرن عبارة "التعلم سلاح المرأة". واستُهل المشروع استناداً إلى فكرة مفادها أن الاعتراف بالشعر النسائي وتأكيد أهميته من شأنهما أن يشجّعا النساء الشابات على إحياء تقاليد أمهاتهن في نظم الشعر والاستمرار في تأديته، الأمر الذي يعزز مشاركة النساء في الحياة العامة.

وقد أتاح المشروع الرائد المموّل من البنك الدولي والصندوق الاجتماعي للتنمية تقديم حصص دراسية في عدّة مواقع ريفية وحضرية قرب العاصمة صنعاء. وكانت الدروس توفَّر بدوامٍ جزئي على مدى تسعة أشهر. وقد التحقت بالحصص الدراسية 200 تلميذة تقريباً وأكملتها 154 تلميذة منهن. ووضعت ماريتزا أراستيا (Maritza Arrastea) وفاتحة مخلوفي (Fatiha Makloufi) المنهج الدراسي، وجرى تدريب خرّيجي مدارس ثانوية يعيشون في المجتمعات الريفية الزراعية ليقدموا الدروس بأنفسهم.

وتصف الدكتورة عدره المشروع على النحو التالي:

بدأت الحصص الدراسية بمناقشة تناولت صورة مشهد مألوف بالنسبة إلى الطالبات أو موضوعاً من اختيارهن. وشُجّعت الطالبات على إدخال الشعر والأمثال في مناقشاتهن، حسبما جرت عادتهن عند مناقشة مسائل هامة بالنسبة إليهن. ثم يعمدن الطالبات إلى صياغة قصة قصيرة، بمساعدة المعلّمين، استناداً إلى المناقشة. وكانت هذه القصة التي تُكتب على أوراق كبيرة الحجم تُلصق على الجدران، إلى جانب القصائد والأمثال التي طُرحت في النقاش، هي النص الذي تتعلم الطالبات من خلاله التعرّف على الجمل والكلمات والأحرف وقراءتها. وغالباً ما كانت النصوص تركّز على أحرف أو كلمات أو مقاطع لفظية محدّدة بهدف تعزيز التعرّف على الأحرف أو الكلمات.

وكانت النصوص تُكتب في البداية باللهجة المحكية في المجتمع المحلي. وعندما تمكّنت الطالبات من التعرّف على الكلمات والأحرف، أدخلت في الحصص الدراسية قواعد اللغة العربية الفصحى المكتوبة. (من الضروري أن تتعلّم الطالبات اللغة العربية الفصحى المكتوبة لأن معظم المواد المنشورة والرسائل الإعلامية تصاغ باللغة العربية الفصحى). وطُبعت كل النصوص التي كتبتها الطالبات واستُنسخت وأعيدت إليهن لكي يتعلّمن قراءة قصصهن وقصائدهن المطبوعة والمكتوبة بخطّ اليد على حدّ سواء. وأخيراً، جُمعت النصوص المطبوعة الخاصة بكل صف في كتاب. وأعطيت كل طالبة أكملت الصفّ كتاباً ساهمت في كتابته.[[1]](#footnote-1)

**معالجة المشاكل وتسجيل الإنجازات**واجه المشروع الرائد بعض المقاومة في عدد من الأوساط. وعارض بعض الرجال الشباب تعليم النساء، وقاموا بتخريب صف في إحدى القرى. ومن المفاجئ أن بعض النساء الريفيات عارضن في البداية استخدام الشعر الشفهي كأداة تعليمية باعتباره وسيلة يعوزها التطور.

وبعد معالجة هذه المشاكل، حقّق المشروع الرائد نجاحاً فاق نجاح جميع النماذج الأخرى المتوافرة لمحو الأمية لدى الراشدين، وهي نماذج اعتمدت على الحفظ وعلى نسخة مكيفة من المنهج الدراسي المخصص للأطفال. وتمّكنت الطالبات بفضل البرنامج من المشاركة في الانتخابات الوطنية وإطلاق مبادرات صحية في قريتَين من القرى التي شملها المشروع. وأفادت الطالبات بأنهن حظين بالمزيد من الاحترام في عائلاتهن واهتممن أكثر بالواجبات المدرسية المنزلية لأطفالهن. وازداد الطلب على تعليم النساء الراشدات في كل المجتمعات المحلية التي كانت مشمولة بالمشروع الرائد. وفي العام الثاني للمشروع، تولّى الصندوق الاجتماعي للتنمية في اليمنتمويله وتنفيذه، بدون أي مساعدة من خبراء استشاريين خارجيين.

ولم تسمح وزارة التعليم اليمنية بعد بتنظيم صفوف إضافية باستخدام هذه المنهجية، على الرغم من استمرار الطلب عليها وتوافر التمويل اللازم. بيد أن هذه المنهجية يمكن أن تطبَّق على نطاق واسع في سياقات أخرى. وفي عام 2007، اعترف مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث في تونس بأن المشروع مثال عن "ممارسة جيّدة في مجال تمكين المرأة".

**لمزيد من المعلومات، انظر:**

* Adra, N. 1998. ‘Learning through Heritage, Literacy through Poetry’. Adult Education and Development, No. 70.
* ——. 2004. ‘Literacy through Poetry: A Pilot Project for Women in the Republic of Yemen’. Women’s Studies Quarterly, Vol. 32, Nos. 1 & 2, pp. 226–43. (Available as pdf at: <http://www.najwaadra.net/adrawsq.pdf>)
* UNESCO website: [http://www.unesco.org/uil/litbase/?menu=4&programme=25](http://www.unesco.org/uil/litbase/?menu=4&amp;programme=25)

1. N. Adra, 1998, ‘Learning through Heritage, Literacy through Poetry’, Adult Education and Development, No. 70. [↑](#footnote-ref-1)